والوفاق أدامهما الله بين رجال العلم وأمناء الامة في ظل تعطفات مولانا الخديو المعظم وتحت عناية مولانا صاحب الفضيلة شيخ الجامع الازهر امين

كتبه بقلمه

سليمان العبد بالازهر

ويقال انه كان بين الشيخين بعض فتور وانهما قد تصالحا على يد فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع وستبرئ النيابة الاستاذ الشيخ سليمان وتقيم الدعوى على صاحب النهج وعسى أن يتربى في هذه الكرة ويتيب

العلم والحرب (*

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى　　ولكنها الاهواء عمت فأعمت

يلهج الناس في الشرق بأن العلم قد ركدت في هذا العصر ريحه، وخبت مصابيحه، وان الجهل قد عمّ بلاؤه، وحلكت ظلماؤه، فأصبح النّاس في ظلمات لا يبصرون فيها، وحيرة لا يهتدون منها، يلهجون بهذا ولا يحركون لسانا في البحث عن انارة الظلمة، وكشف الغمة، لاعتقادهم بان سنّة الله تعالى فى الخلق أن يكون دائما فى تدلٍ وهبوط وان هذا العصر هو الدور الاخير من عمر الدنيا فلا جرم ان أهله يكونون في الدرك الاسفل من الجهل والغباوة والتواكل والتقاوة (ترك المذاكرة والمدارسة) وكذلك لهجهم واعتقادهم في الدين يعترف كافتهم بانه قد تركت أحكامه، واشتبهت أعلامه، بل تصرح خطباء المسلمين على منابر مساجدهم بانه «لم

*) فاتحة العدد التاسع عشر الذي صدر في ٧ ربيع سنة ١٣١٦

يبق من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه» وانه «عظم البلاء واشتد على الناس الامر، وأصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر» وما أشبه هاتا .

ان اعتقاد الناس بأن هذا من علامات الساعة ومن خصائص آخر الزمان قد سهل على غويهم ارتكاب الفواحش واجتراح السيئات وأمسك لسان رشيدهم عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فالعلماء (أكثرهم) يغشون مجالس الظلمة والفساق ويعظمونهم ويمدحونهم ، ويعزونهم ، ويهزونهم ويغرونهم ويغرونهم، واذا استفتوهم في بعض المحظورات يفتونهم ، فما بالك ببقية الناس ، وسائر الاصناف والاجناس ، لكن الحالة السيئة التي انتهوا اليها من علم وعمل وعادات وتقاليد يحافظون عليها أشد المحافظة وينكرون على من أخل بها أشد الانكار ، اخترع الحذاء المعروف بالكندرة أو الجزمه فقامت قيامة العلماء على محتذيها وألفوا الرسائل في اثبات انها بدعة محرمة في الدين ولا يزال فيهم من يتأثم من احتذائها ويذم فاعله ويقدح في دينه (والذم والقدح من المحرمات اجماعا) ولو نظر هؤلاء الغلاة الى أشخاصهم لرأوها محاطة بامثال هذه البدعة من قنازعهم وعماراتهم (مايلبس على الرأس) الى أحذيتهم ونعالهم ولو التفتوا الى نفوسهم وأعمالهم لرأوها منغمسة في البدع الحقيقية ، أشار بعض العلماء الواقفين على سير العلوم العارفين بفن التعليم (البدوجيا) الى ترك قراءة الحواشي لطلبة العلم فاضطرب لهذه الاشارة كثير من علماء الازهر واستكبروا الامر واستنكروه لانه مخالف لما اعتادوه وألفوه وهم يشاهدون البدع والمنكرات الحقيقية في أفضل عباداتهم في نفس أزهرهم ولا ينبس أحد منهم ببنت شفة في الانكار

على فاعليها ، على ان الحواشي التي يتمسك بها جمهورهم الآن بحجة انها من آثار سلفهم ليست مما يعرفه سلف الامة الصالح وانما هي من بدع الخلف السيئة بدليل انحطاط العلم وضعفه بعد شيوعها كما يعرفه من له أدنى الم بالتاريخ ، أنكرنا في جريدتنا على البدع والاضاليل التي تحصل في الجامع الاحمدي أيام الاحتفال المسمى بالمولد في مصر فاهتزت لانكارنا بلاد الشام وأكبر الناس ذلك الانكار وما ذلك الا لأن تلك المنكرات صارت عادات راسخة. نعم ان قومنا أصبحوا ينكرون المعروف ، اذا لم يكن من المألوف ، وينتصرون للمنكر ، اذا اعتيد وتكرر ، فكما أنكر علينا بعضهم الكلام في منكرات الموالد من قبل قام اليوم آخرون ينكرون علينا قاعدتين صحيحتين وردتا في عرض كلامنا (احداهما) ان سنة الله تعالى في الخلق ان يكونوا دائما في ترق ونمو حتى يبلغ كل كماله وان الامم التي تتدلى وتضوى فانما ذلك لمرض ألم بها فاضواها ، أو ضغط طرأ عليها فدلاها ، «والثانية» أن العلم والتعليم أفضل من الحرب والجهاد وانا ندع الكلام في الاولى لعدد قال وتتكلم على الثانية فنقول

مهما أطلقنا العلم في مباحث التربية والتعليم فنريد به مايهدي الناس الى سعادتهم الدنيوية والاخروية فيدخل فيه علم العقائد وتهذيب الاخلاق واصلاح الاعمال والفنون الحربية والسياسية والاقتصادية وهو بهذا الاطلاق لا يرتاب في تفضيله على كل شيء الاعمي القلوب كمه البصائر وكيف وان الجهاد الذي يغلطون بتفضيله على التعليم لا يمكن أن يحصل بدون التعليم بل أصل الدين والايمان علم مدون يؤخذ بالتعلم واذا كان العلم أفضل كل شيء فتعليمه افادة للافضل كما قال الامام الغزالي والاشتغال

بافادة الافضل أفضل من الاشتغال بالفاضل والمفضول فالعلم والتعليم أفضل الاعمال على الاطلاق ومرتبة العلماء المعلمين تلي مرتبة النبوة كما ورد في الاخبار الكثيرة

هذا أمر مجمع عليه اجماعا مؤيدا بالكتاب والسنة والقياس والشواهد العقلية ثم وقع الخلاف في المفاضلة بين العالم والشهيد والجماهير على تفضيل الاول لعموم الادلة ولحديث « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء، فيرجح مداد العلماء » وأثر ابن مسعود « والذي نفسي بيده ليودنّ رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله العلماء لما يرون من كرامتهم وان أحداً لم يولد عالما وانما العلم بالتعلم » ومثل هذا الاثر له حكم المرفوع وأمثال هذا كثير وصرح بمضمونه جماعة من أئمة العلم كالغزالي وغيره

من نظر بعين البصيرة ، الى مقاصد الشريعة ، علم ان الدين انما ينتشر بالدعوة والتبليغ لا بالاكراه والالزام « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ورأى ان الحرب شر عظيم وان الوحي لم يأذن بالجهاد الا للضرورة جريا على قاعدة ارتكاب أخف الضررين فالفضيلة فيه عرضية ، لاذاتية ، والضرورة بالنسبة للمدافعة عن الحق الذي يعتقد المجاهد فيه سعادته وسعادة البشر كلهم ظاهرة وأما بالنسبة للمهاجمة وابتداء القتال فالضرورة تعذر نشر الحق وتهذيب الناس بالارشاد والتعليم قولا وعملا بدونه لان ابتداء القتال مشروط بعدم قبول المخالف الدخول في الذمة المعبر عنه باعطاء الجزية التي هي شرطه فاذا قبل الدخول في الذمة حرم قتاله لانه يطلع حينئذ على أحكام الدين وأخلاق أهله وأعمالهم وأحكامهم فان راقت له واقتنع بحقيتها اتبعها عن رضى واذعان والا كان

هو المقصر ولا تبعة علينا ببقائه على باطله وعلينا أن نعامله بالعدل ونساويه بالحقوق « لهم مالنا وعليهم ماعلينا » (لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وأول ماتزل في الجهاد من الآيات مصرح بوصف المجاهدين بقوله تعالى (الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وبانه لولا اذن الله الناس بالمدافعة عن الحق لهدمت صوامع العباد وبيع النصارى وصلوات اليهود (معابدهم) ومساجد المسلمين . وقد أوردنا هذه الآيات بنصها في العدد الثاني والخامس وأشرنا لما فيها من الحكمة

لما كان المنتقدون علينا تفضيل التعليم على كل ماعداه جامدين على تقليد الاوائل أحببنا أن نذكر هنا نبذة في ذلك عن الامام الغزالي فنقول بين هذا الامام فضيلة العلم والتعليم والتعلم بالآيات والاخبار والآثار ثم كتب فصلا بين فيه ذلك بالشواهد العقلية ابتدأه بذكر معنى الفضيلة في نفسها وقسم الشيء النفيس المرغوب فيه الى ثلاثة أقسام ما يطلب لغيره كالنقود وما يطلب لذاته كسعادة الآخرة وما يطلب لغيره ولذاته معاً كسلامة البدن ثم قال مانصه

وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رأيته لذيذا في نفسه فيكون مطلوباً لذاته ووجدته وسيلة الى دار الآخرة وسعادتها وذريعة الى القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه الا به وأعظم الاشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الابدية وأفضل الاشياء ما هو وسيلة اليها ولن يتوصل اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل الا بالعلم بكيفية العمل فأصل السعادة

في الدنيا والآخرة هو العلم فهو اذاً أفضل الاعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضاً بشرف ثمرته وقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الأعلى هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتميز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها

هذه فضيلة العلم مطلقاً ثم تختلف العلوم كما سيأتي بيانه وتتفاوت فضائلها بتفاوتها . وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه فان العلم اذا كان أفضل الامور كان تعلمه طلباً للافضل وكان تعليمه افادة للافضل . وبيانه ان مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة وهي الآلة الموصلة الى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلا الا لمن يتخذها مستقراً ووطنا وليس ينتظم أمر الدنيا الا بأعمال الآدميين، وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة أقسام . أحدها أصول لا قوام للعالم دونها وهي أربعة الزراعة وهي للمطعم، والحياكة وهي للملبس، والبناء وهو للمسكن، والسياسة وهي للتأليف والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة وضبطها (الثاني) ماهي مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد آلتها وكالحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد محلها (الثالث) ماهي متممة للاصول ومزينة لها كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام أمر العالم الارضي مثل أجزاء الشخص بالاضافة

الى جملته فانها ثلاثة أضرب أيضاً اما أصول كالقلب والكبد والدماغ واما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والاعصاب والاوردة واما مكملة لها ومزينة كالاظفار والاصابع والحاجبين. وأشرف هذه الصناعات أصولها وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها مالا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لامحالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع

والسياسة في استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة على أربع مراتب (الاولى) وهي العليا سياسة الانبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا في ظاهرهم وباطنهم (الثانية) الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لاعلى باطنهم (الثالثة) العلماء بالله وبدينه الذين هم ورثة الانبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة الى الاستفادة منهم ولا تنتهي قوتهم الى التصرف في ظواهرهم بالإلزام والمنع (الرابعة) الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط . وأشرف هذه السياسات الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الاخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم . وانما قلنا ان هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لان شرف الصناعة يعرف بثلاثة أمور — إما بالالتفات الى الغريزة التي بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل أشرف من السمع، وإما بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة ، وإما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة اذ محل أحدهما

الذهب ومحل الآخر جلد الميتة . وليس يخفى ان العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة انما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الانسان كما سيأتي بيانه اذ به تقبل أمانة الله وبه يتوصل الى جوار الله سبحانه وأما عموم النفع فلا يستراب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الآخرة وأما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم وأشرف موجود على الارض جنس الانس وأشرف جزء من جوهر الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتخليته وتطهيره وسياقته الى القرب من الله عز وجل فتعليم العلم من وجه عبادة الله تعالى ومن وجه خلافة الله تعالى وهو من أجل خلافة الله تعالى فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو أخص صفاته فهو كالخازن لأنفس خزائنه ثم هو مأذون له في الانفاق منه على كل محتاج اليه فأي رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه في تقريبهم الى الله زلفى وسياقتهم الى جنة المأوى جعلنا الله منهم بكرمه وصلى الله على كل عبد مصطفى اه

﴿ مشروع سكة حديد ﴾

« بين بور سعيد والبصرة »

كنا اقتصرنا عند الكلام على هذا المشروع لاول مرة على الاعتراف بعظيم فائدته وتفويض الامر فيه لحكمة مولانا السلطان الاعظم ووزرائه الصادقين وذلك لامرين أحدهما ماذكرناه في العدد الماضي من كون المقترح هو أن تكون لجنة العمل تحت رئاسة مولانا أيده الله تعالى لانها لا يمكن أن تنجح بدون ذلك وثانيهما ان للمشروع وجهة سياسية نبينها هنا